

مش متدين لكنه طيب

الكاتب: د إياد قنبي



من المفاهيم التي تحتاج تصحيحاً - ويشدّه!:

(فلان أو فلانة مش متدين لكنه طيب، محترم، "جنتل"، مستقيم، مُتقن لعمله...)

وكانَ هذه الصفات كلها ليست جزءاً من التدين!

وهذا ناتج عن تصور "التدّين" وكأنه محصور في شعائر معينة كالحجاب واللحية، واجتناب العلاقات غير المنضبطة بين الجنسين وما إلى ذلك.

والصحيح أن علينا أن نوسع دائرة التدين في حسّنا وتصوّرنا لتشمل كل خلق جميل وكل معنى من المعاني السامية كالخيرية والطيبة وحسن التعامل ومعونة الناس وإتقان العمل.

ألم تسمع قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُّكُمْ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ} ..

ورسولنا صلي الله عليه وسلم وسّع الدائرة في الحديث الذي صحّحه الألباني: مر على النبي رجلٌ فرأى أصحاب النبي من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: (يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله)!

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: {إِنَّ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صَغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَخَّرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ}.

لا شك أن المهم في هذا كله أن يكون الذي نتكلم عنه مسلماً أو مسلمة، بحيث لم يفعل ما يحط عمله أو يخرجه من دائرة الإسلام، المسلم الذي يعظ الله ويحب الله ورسوله ويُقر بأن المرجعية هي لشرع الله عز وجل، ويعرف الله بأخطائه وذنبه ولا يبرها ..

المسلم الذي يقوم بأركان الإسلام لا يهدمها، فهو أو هي يصلّي ويصوم ويزكي وإن استطاع حجّ، ولا يقلل من شأن هذه الأمور بدعوى أن المهم حسن التعامل مع الناس، بل هو معترف بحق رب الناس سبحانه وتعالى. هذا المسلم كل خلق طيب لديه وكل عمل صالح يعمله هو "تَدِينٌ"، حتى وإن كان عاصيًّا مذنبًا في جانب من الجوانب.

في المقابل، من العبارات الخطيرة: (فلان متدين لكنه جلف في التعامل مع والديه/مهمل لأبنائه/"عواطلي" أو اتكالي لا يسعى على رزق عياله/يستدين من الآخرين ولا يهتم بسداد الدين/حقود...إلخ). (فلانة متدينة لكنها تغتاب زميلاتها، تحسدهن، تعاملها سيء...إلخ)...

وكان هذه الذنوب لا تقدح في وصف "التدین"!

كما أن كبار الجوارح تقدح في "التدّين" فكذلك كبار القلوب تقدح في التدين، بل كثيراً ما تكون أسوأ من كبار الجوارح كما نص ابن القيم، رحمة الله... فكم من شخص يوصف بأنه "متدين" وعنه حسد/سوء ظن المسلمين/عجب/كبر...

وكم من شخص لا يصنف **بالتعریف الضيق**- ضمن دائرة المتدینین وعنه من خیریة القلب وسلامة الصدر وحسن الخلق ما يجعله يسبق "المتدین" في عرف الناس، ففي الحديث الصحيح قال نبینا صلی الله علیه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَيُبَلِّغُ الْعَبْدَ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرْجَةَ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ».

ولا يُقصد به طبعاً أنه يكفيه حسن الخلق ولو هَدَم ركين من أركان الإسلام (الصوم والصلوة)! بل فيه التأكيد على أهمية شمول حسن الخلق في دائرة الطاعة و"التدین".

حصر التدين في شعائر معينة خلل فكري كبير يكرس للعلمانية. وصحيح أن علينا الحذر من التهويين من شأن المعاصي وإجراء المقارنات التي لا معنى لها (فلانة متبرجة وأحسن من كثير من المتحجبات).. فهي مقارنات تُذكر في سياق التهويين من شأن هذه المعاصي.

لكن في الوقت ذاته، علينا الحذر من تضييق دائرة "التدین"... فكل خير يجب أن يكون مشمولاً فيها، وكل صفة سيئة فإنها تنتقص منها وإن تمسك المسلم أو المسلم ببعض شعائر الدين: قال الله تعالى {وَنَاضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (47)

الكلمات المفتاحية:

#إياد_قنيبي

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.